معالم الخطاب النبوي زمن الأوبئة

أعده

أ.د. محمد سيد أحمد شحاته

أستاذ الحديث وعلومه

جامعة الأزهر

كلية أصول الدين أسيوط

جامعة المجمعة

كلية التربية الزلفي

جوال. 00966508165479

البريد الالكتروني: ms.shehataa@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص:

مقدمة: يبرز البحث طبيعة الخطاب النبوي زمن الأوبئة، وخصائصه، وأهم ملامحه، ثم يبين أثر الخطاب النبوي زمن الأوبئة على المجتمع.

أهمية البحث: تكمن أهمية الدراسة في محاولة التعرف على معالم الخطاب النبوي أثناء الوباء، والذي يمكن من خلاله التغلب على انتشار الأمراض المعدية، ومن خلال العلاج الذي يقاوم عضال الداء، وبيان أهمية الحلول النبوية للأزمات الصحية، وتزويد المجتمع بالعلاج النبوي.

أهداف البحث: التعرف على طبيعة الخطاب النبوي زمن الأوبئة، وبيان خصائصه، واثره، وملامحه.

منهج البحث. استقرائي استنباطي.

النتائج : أن السنة النبوية أولت عناية بالخطاب النبوي لا سيما الجانب الصحي، وأن الخطاب النبوي ركز على جانب الوقاية أكثر من العلاج، وأن الخطاب النبوي له أكبر الأثر في الوقاية من الأمراض الواقعية والشمولية واليسر، وأن الخطاب النبوي أفاد منه المشرعون في الواقع المعاصر.

ثانياً: التوصيات: الاهتمام بجمع جوانب الطب النبوي وربطها بالواقع، وتخصيص موقع ينشر فيه الإعجاز الطبي في السنة النبوية، والذي أظن أنه سيكون سبباً في دخول كثيرين في الإسلام.

In the name of of Allah the Merciful

Summary:

Introduction: The research highlights the nature of the prophetic discourse, the time of epidemics, its characteristics, and its most important features. Then the effect of the prophetic discourse shows the time of epidemics on society.

The importance of research: The importance of the study lies in trying to identify the parameters of the prophetic discourse during the epidemic, through which the spread of infectious diseases can be overcome, and through treatment that resists the incurable disease, and to explain the importance of prophetic solutions to health crises, and to provide the community with prophetic treatment.

Research Objectives: To identify the nature of the prophetic discourse during epidemics, and to explain its characteristics, effect, and features.

Research Methodology. Deductive inductive.

The results: that the Prophetic Sunnah paid attention to the prophetic discourse, especially the health aspect, and that the prophetic discourse focused on the prevention aspect more than treatment, and that the prophetic discourse has the greatest effect in preventing realistic, comprehensive and easy diseases, and that the prophetic discourse benefited the legislators in contemporary reality.

Second: Recommendations: Attention to collecting aspects of prophetic medicine and linking them to reality, and allocating a site where the medical miracle is published in the Prophet's Sunnah, which I suspect will be a reason for many to enter Islam.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أعطانا من وافر فضله، وحذرنا من شديد عذابه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أما بعد.

فإن الخطاب النبوي يختلف باختلاف الأحداث، ومن تلكم الأحداث حدوث أزمة تعصف بالأرواح، مثل نزول البلاء، وهذا يحتاج إلى خطاب من نوع خاص، ومما لا شك فيه أن الخطاب النبوي له أبلغ الأثر في السيطرة على انتشار الوباء، والتحصن منه، بل وعلاجه.

وتكمن أهمية الدراسة الآن في ظل وقوف الكرة الأرضية على حدث لم تتوقعه، ونزول خطب لم تألفه، يأتي في الوجود على ندرة، وهو آية من آيات الله، تدل على قدرته وعظمته، وأنه يبتلي عباده بالخير والشر، ظهر ما يسمى بفيروس كورونا (كوفيد19)، وهذا الفيروس بيان للناس ولينذروا به، ليذكرهم يوم الحساب، فقد خرج من كل حدب، وطفق يضرب كل مكان، وجعل الدول تتخذ كثيراً من التدابير للحد من انتشاره، والسيطرة عليه، فقد سجن أهل الأرض، وجعلهم في خوف وقلق وهلع من مجهول لم يعرفوه، ومرض لم يألفوه، ومصاب لم يتوقعوه، وذلك لا ريب محنة كبرى، ورزية عظمى، مما جعل كل ذي علم يبحث عن حل ناجع ناجح، فعكف العلماء في مشارق الأرض ومغاربها يبحثون عن دواء لهذا الداء، كل أراد أن يفيد حسب تخصصه.

وهذه الجائحة أفرزت أهمية الاهتمام بالجانب العلمي، ولم يكن الباحثون في السنة النبوية بمعزل عن البحث والتحري، إذ في السنة النبوية بيان لما كان وما يكون، فهي وحي يوحى، لذا جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على الخطاب الذي ينبغي أن يطرح في ظل هذه الأزمة وما يماثلها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في محاولة التعرف على معالم الخطاب النبوي أثناء الوباء، والذي يمكن من خلاله التغلب على انتشار الأمراض المعدية، ومن خلال العلاج الذي يقاوم عضال الداء، وبيان أهمية الحلول النبوية للأزمات الصحية، وتزويد المجتمع بالعلاج النبوي.

مشكلة البحث، وتساؤلاته:

من القضايا المطروحة الآن وبشدة البحث دور الدين في توجيه الناس إلى الالتزام بالتباعد، مما استوجب معه النظر في الخطاب النبوي، وكيف كان خطاب النبي ﷺ أثناء الأزمات الواقعة، وسيجيب البحث إن شاء الله تعالى عن هذه الأسئلة:

- ما طبيعة الخطاب النبوي زمن الأوبئة؟
- ما خصائص الخطاب النبوي زمن الأوبئة؟
- كيف أثر الخطاب النبوي زمن الأوبئة على المجتمع؟
- كيف يمكن تطبيق الخطاب في الواقع المعاصر؟

أهداف البحث:

لا شك أن الباحث يرنو إلى إيجاد الحلول النبوية التي يمكن من خلالها القضاء على الأوبئة، ويمكن أن تصاغ الأهداف على هذا النحو:

- إظهار طبيعة الخطاب النبوي زمن الأوبئة.
- بيان خصائص الخطاب النبوي زمن الأوبئة.
- معرفة أثر الخطاب النبوي زمن الأوبئة على المجتمع.
- إمكانية تطبيق هذه الاستراتيجيات في الواقع المعاصر.

منهج البحث. استقرائي استنباطي، وذلك من خلال استقراء الأحاديث النبوية التي تتحدث عن الوباء، وتحليل ما كتب عن الأمراض، ورصد معالم الخطاب النبوي.

خطة البحث:

يأتي البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: أهمية البحث، ومشكلته وتساؤلاته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: طبيعة الخطاب النبوي زمن الأوبئة.

المبحث الثاني: خصائص الخطاب النبوي زمن الأوبئة.

المبحث الثالث: ملامح الخطاب الديني.

المبحث الرابع: أثر الخطاب النبوي زمن الأوبئة على المجتمع.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول:

طبيعة الخطاب النبوي زمن الأوبئة

للخطاب النبوي طبيعته التي امتاز بها عن غيره، ومع ذلك فقد كان لهذا الخطاب أثناء الأوبئة طبيعة خاصة يمكن إجمالها في الآتي:

(1) رفع المعنويات للمرضى.

إن الناظر في الخطاب النبوي أثناء وقوع الوباء يدرك بكل جلاء أنه خطاب يبث لروح الأمل، وعدم اليأس والقنوط، فمهما اشتد الداء فإن الله تكفل بوجود الدواء، فعَنْ جَابِرٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ"([1]).

فقوله ﷺ: "لكل داء دواء" فيه رفع للروح المعنوية للمريض، فلا يصاب باليأس، ومن المقرر طبياً أن ارتفاع معنويات المريض من الأمور تساعد كثيرا في تعجيل الشفاء.

و لم يقتصر الأمر على رفع معنويات المريض فحسب بل فيه تحفيز للعلماء إلى البحث عن دواء، وأن هذا كائن بمشيئة الله، وإلى ضرورة اختيار الدواء المناسب، ثم بعد الأخذ بالأسباب يكون الشفاء من عند الله ﷻ.

(2) مراعاة مصالح الناس.

إن الخطاب النبوي أثناء وقوع الوباء يعتمد على جانب مراعاة المصلحة العامة والخاصة، يؤيد هذا ما جاء في حديث جابر ﷺ: عن النبي ﷺ قال: "إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ، أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهِ شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ"([2]).

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الطب، باب لكل داء دواء، (7/ 21) رقم(5792).

(2) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (3/ 1195) رقم(3106)، وفي كتاب الأشربةن باب تغطية الإناء، (5/ 2131) رقم(5300)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، (6/ 105) رقم(5294).

قال النووي: "هذا الحديث فيه جمل من أنواع الخير والأدب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا، فأمر ﷺ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان، وجعل الله ﷻ هذه الأسباب أسباباً للسلامة من ايذائه، فلا يقدر على كشف اناء، ولا حل سقاء، ولا فتح باب، ولا ايذاء صبي وغيره"([3]).

فهذا الخطاب فيه عدة أمور احترازية ووقائية وهي: (1) كف الصبيان عن الانتشار. (2) إغلاق الأبواب. (3) تغطية الأواني. (4) إطفاء المصابيح.

(3) الشمولية.

إن الناظر في الخطاب النبوي يدرك شموليته للروح والجسد، وهذه الشمولية والتكاملية تجعل تشخيص العلاج متكاملاً متناسباً مع التشخيص، وبأكثر من طريقة، فقد يكون عن طريق القرآن، أو تقديم العسل، والحبة السوداء، أو الدعاء، وقد يتعاطى أكثر من دواء.

إن الدواء النبوي تعددت طريقته فقد كان روحياً ومادياً لجميع الأمراض النفسية بل والجسدية، فجاء في الحديث التداوي بالقرآن كعلاج روحي والتداوي بالعسل كعلاج مادي، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "عَلَيْكُمْ بِالشِّفَائَيْنِ الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ"([4]).

وقد تم التداوي به بالفعل ففي حديث أَبِي سَعِيدٍ في قصة اللديغ ورقيته بسورة الفاتحة، وأنه تم شفاؤه"([5])، تدل على أن القرآن دواء نافع يرقى به، ويستشفى به، وقد بين النبي ﷺ طريقة التداوي

---

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، (13/ 185).

(4) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطب، باب العسل، (2/ 1142) رقم(3452)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الطب، (4/ 222) رقم(7435)، وصححه الحاكم والذهبي، وقال البوصيري: "هَذَا إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله ثِقَات". (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، البوصيري، (4/ 55).

(5) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، (2/ 795) رقم(2156)، ومسلم، كتاب الطب، باب أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، (7/ 20) رقم(5786).

ففي حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي المَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا"، فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ: كَيْفَ يَنْفِثُ؟ قَالَ: "كَانَ يَنْفِثُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ"([6])، وقد اكتشف العلماء أن بعض الترددات الصوتية تؤثر على مناطق معينة من الدماغ، فتنشط الخلايا، وتجعلها أكثر قدرة على العمل بكفاءة، وترفع من قدرة نظام المناعة لدى المريض([7])، والقرآن الكريم له تأثيره على الأجساد، يعرف ذلك كل مجرب.

(4) الوقائية.

إذ يركز على جانب الوقاية وقد مر حديث كف الصبيان، ومن الوقاية أيضاً أنه ﷺ كان يغسل يده من الطعام، حتى يُنقيها. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا نَامَ أَحَدُكُمْ، وَفِي يَدِهِ رِيحُ غَمَرٍ، فَلَمْ يَغْسِلْ يَدَهُ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ، فَلَا يَلُومَنَّ، إِلَّا نَفْسَهُ"([8]). لأن من ينام وفي يديه بقايا الطعام لا يامن علي نفسه من الامراض. يستحب له إذا أكل ..أن يغسل يده وفمه وينفي الدسومة والزهومة([9])، وعَنْ سُوَيْدِ بْنِ النُّعْمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: " خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ خَيْبَرَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالصَّهْبَاءِ، وَصَلَّى الْعَصْرَ دَعَا بِالْأَطْعِمَةِ، فَمَا أُتِيَ إِلَّا بِسَوِيقٍ فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا مِنْهُ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَمَضْمَضَ، وَمَضْمَضْنَا مَعَهُ، وَمَا مَسَّ مَاءً"([10])، وفي هذا الهدي النبوي حفظ لصحة الأسنان ووقايتها من النخر والتسوس، ذلك أن بقايا

---

(6) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات، (5/ 2165) رقم(5403).

(7) انظر الشفاء بالقرآن – تأثير الاستماع لصوت القرآن على القلب، عبد الدايم كحيل.
http://kaheel7.com/pdetails.php?id=761&ft=38

(8) أخرجه: الترمذي في كتاب الأطعمة باب التسمية عند الطعام (4/ 289) ح(1860)، وقال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الأعمش إلا من هذا الوجه، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب من بات وفي يده ريح غمر،(2/ 1096) رقم(3297)، والدارمي، كتاب الأطعمة، باب في الوضوء بعد الطعام، (2/ 142) رقم(2063)، وقال الشيخ الألباني : صحيح، (صحيح الأدب المفرد، الألباني، (ص: 474) رقم(1220).

(9) تحفة الأحوذي، المباركفوري، (1/ 224).

(10) أخرجه: البخاري في كتاب الوضوء باب من مضمض من السويق و لم يتوضأ (1/ 86) ح(206)، وفي كتاب الأطعمة باب المضمضة بعد الطعام (5/ 2077) ح(5139)، وأحمد في المسند (25/ 98) ح(15800) .

الطعام في الفم وبين ثنايا الأسنان يمكن أن تتخمر وتتفسخ متحولة ضمن الفم إلى مزرعة جرثومية خطيرة يمكن أن تترعرع فيها الجراثيم، وتتكاثر بسهولة مؤدية إلى حالات مرضية قد تكون وخيمة العواقب، ومن أجل هذا أيضاً شرع استعمال السواك.

(5) الشرعية.

إذ مبناه أولاً على ما أحله، فلا يستعان على قضاء الله بما حرم الله، فلا خير في علاج محرم، وثانياً على ذكر الله، فلا يستغني المسلم في أي وقت عن ذكر الله، لا سيما في وقت الاضطرار، وقد شرعت الرقى والأدعية التي تكون سبباً في تخفيف الأم، وإليك طرفاً من هذه الأدعية:

(أ) عن أبي سعيد : أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد! اشتكيت؟ قال نعم قال: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كل نفس وعَيْنِ حَاسِدٍ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ"([11])، فهنا الرقية كانت باسم الله

(ب) عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ وَقَالَ: "أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، واشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا"."([12]).

والحاصل: أن كل مرض يحترز الناس من صاحب ذلك المرض، ولا ينتفعون منه ولا ينتفع منهم، ويعجَز بسبب ذلك المرض عن حقوق الله وحقوق المسلمين يستحب الاستعاذة من ذلك المرض([13]).

---

(11) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في التعوذ للمريض، (3/ 303) رقم(972)، وابن ماجه، كتاب الطب، باب ما عوذ به النبي ﷺ، وما عوذ به، (2/ 1164) رقم(3523)، وأحمد في المسند، (17/ 323) رقم(11225)، وقال الشيخ شعيب: صحيح.

(12) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض، (5/ 2147) رقم(5351)، ومسلم، كتاب الطب، باب رقية المريض، (7/ 15) رقم(5758).

(13) المفاتيح في شرح المصابيح، المظهري، (3/ 238).

(جـــ) عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَالْجُذَامِ وَمِنْ سَيِّئِ الأَسْقَامِ"([14]). قال الخطابي: "يشبه أن يكون استعاذته من هذه الأسقام؛ لأنها عاهات تفسد الخلقة، وتبقي الشين، وبعضها يؤثر في العقل وليست كسائر الأمراض التي إنما هي أعراض لا تدوم كالحمى والصداع وسائر الأمراض التي لا تجري مجرى العاهات، وإنما هي كفارات وليست بعقوبات([15]).

(د) عَن عُثْمَان بن أبي الْعَاصِ الثَّقَفِيّ أَنه شكا إِلَى رَسُول الله ﷺ وجعا يجده فِي جسده فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: "ضع يدك على الَّذِي تألم من جسدك وَقل باسم الله ثَلَاثًا وَقل سبع مَرَّات أعوذ بِاللَّه وَقدرته من شَرّ مَا أجد وأحاذر"([16]). إن لله في خلقه شئون، وقد شاءت حكمته أن يودع الأسباب صلاحية إيجاد المسببات، والسبب والمسبب من خلقه جميعاً، لا شريك له، فهو الفاعل الحقيقي، وهو المدبر الوحيد للكائنات، في كل لحظة من اللحظات، وتأثير الأسباب في مسبباتها قانون خلق الله، مرتبط بإرادة الله ومشيئته، خلق الحرارة والإحراق في النار، تفعل فعلها بإرادته وقدرته وإذنه لها، فإن شاء أن تكون برداً وسلاماً كانت بأمر كن فيكون([17])، فلا يستغني مسلم عن الدعاء، واللجوء إلى الله، وكذا الرقية الشرعية التي عالج بها النبي ﷺ وجربها المسلمون على مدر العصور.

(14) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب فِى الاِسْتِعَاذَةِ، (1/ 569) رقم(1556)، وأحمد في المسند، (20/ 309) رقم(13004)، وأبو داود الطيالسي في المسند، (3/ 499) رقم(2120)، وقال الشيخ شعيب: "صحيح".

(15) معالم السنن، الخطابي، (1/ 297).

(16) أخرجه مسلم، كتاب الطب، باب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، (7/ 20) رقم(5788).

(17) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى لاشين، (8/ 535).

(6) الخبرة والعلم.

المتمعن في الخطاب النبوي يفهم أنه يطلب من أتباعه أن يسلكوا طريق العلم في الاشتغال بالطب، إذ ليس من المعقول أن يتجاسر من ليس من أهل العلم على الطب وهو جاهل وصفاته، ذلك أن هذا العلم متعلق بحياة البشر.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ تَطَبَّبَ وَلاَ يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ"([18]).

(7) الإقناع والتأثير.

فهو يصف الدواء بما يتناسب مع ظروف الناس فعند نزول الوباء أمر بالحجر الصحي، وهو أول دين سماوي وضع نظام الحجر الصحي عند حدوث أوبئة عامة، فقد جاء في الحديث النبوي النهي عن الدخول في أرض أصابها الطاعون، وكذلك النهي عن الخروج منها، وقد كان لهذا الابتكار الصحي العظيم أثر ملحوظ في حماية البشرية من الموت بالجملة، أما ما كان يحدث في بعض فترات التاريخ من الأوبئة الماحقة التي كانت تفتك بالناس في عواصم الإسلام خلال العهود الأخيرة فما كان ذلك إلا من جراء الغفلة عن الأخذ بهذا النظام الصحي الدقيق([19]).

وقد حث النبي أيضاً على اجتناب الموبوئين بالأمراض المعدية فعن أسامة بن زيد ﷺ: عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا" فَقُلْتُ:

(18) أخرجه أبو داود، كتاب الديات، باب فِيمَنْ تَطَبَّبَ وَلاَ يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ فَأَعْنَتَ، (4/ 320) رقم(4588)، والنسائي، كتاب القسامة، صِفَةُ شِبْهِ الْعَمْدِ، وَعَلَى مَنْ دِيَةُ الْأَجِنَّةِ، وَشِبْهِ الْعَمْدِ، (8/ 422) رقم(4845)، وابن ماجه، كتاب الطب، باب من تطبب، ولم يعلم منه طب، (2/ 1148) رقم(3466)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (4/ 236) رقم (7484)، وصححه الحاكم والذهبي.

(19) مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات، (997/43).

أَنْتَ سَمِعْتَهُ يُحَدِّثُ سَعْدًا، وَلَا يُنْكِرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ "([20])، وجاء في حديث سعد أنه نوع من العذاب الي عذب به بعض من قبلنا، فعن سعد بن أبي وقاص سأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون ؟ فقال أسامة: قال رسول الله ﷺ : "الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ"([21]).

فلا يخرج المريض ولا الصحيح حتى لا ينتشر الوباء، ويهلك المرضى، قال الغزالي: "لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقي في البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون، فانكسرت قلوبهم، وفقدوا المتعهدين، و لم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام، وهم يعجزون عن مباشرتهما بأنفسهم، فيكون ذلك سعيا في إهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر، كما أن خلاص الأصحاء منتظر، فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت، ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص، وهو قاطع في إهلاك الباقين، والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا، والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر أعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي"([22]).

وقد طبق الصحابة مبدأ الحجر فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ، خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ

([20]) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (5/ 2163) رقم(5396).

([21]) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم } / الكهف 9)، (3/ 1281) رقم(3286)، ومسلم، كتاب الطب، باب الطاعون، (7/ 26) رقم (5825).

([22]) إحياء علوم الدين، الغزالي، (4/ 291).

يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ - فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ" قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ"([23]).

تلكم أبرز مميزات الخطاب النبوي زمن الأوبئة.

المبحث الثاني:

خصائص الخطاب النبوي زمن الأوبئة

هناك عدة خصائص للخطاب النبوي زمن الأويئة، فهو خطاب ذو طابع ديني، استخدم أساليب متعددة في توجيه الناس، وتقويم المجتمعات، فهو يشتمل على الإقناع المنطقي، والتحفيز، وتتجلي هذه الخصائص في الآتي:

(1) التريث وعدم التعجل.

من خصائص الخطاب النبوي عن الوباء عدم التعجل في الأحكام ، وعدم التعجل في إثبات فعالية العلاج، فقد جاء رجل يذكر أن أخاه يشتكي من وجع بطنه فأمره النبي ﷺ أن يسقيه العسل عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "اسْقِهِ عَسَلًا"فَسَقَاهُ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي سَقَيْتُهُ عَسَلًا فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا، فَقَالَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَاءَ

(23) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (5/ 2163) رقم(5397)، ومسلم كتاب الجهاد، باب بيان الشهداء، (6/ 52) رقم(4982).

الرَّابِعَةَ فَقَالَ: "اسْقِه عَسَلًا"فَقَالَ: لَقَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ"فَسَقَاهُ فَبَرَأَ[24].

لقد أثبتت جميع المعامل الطبي العالمية أن عسل النحل يشتمل على مواد تعالج الكثير من الأمراض. كما أن له مفعولا كبيرا في شفاء الكثير من الأمراض لأنه يقتل الكثير من الميكروبات. ثم هو يحتوي على نسبة عظيمة من الفيتامينات والجلوكوز. على أنه ضد التسمم الناشئ من أمراض التسمم البولي، والاضطرابات المعدية، والمعوية، وأكبر منشط للكبد([25])، فالعسل كما أخبر الله تعالى فيه شفاء، وهذا ما أمر محسوس ملموس، وكل من جرب العسل أدرك منافعه المتعددة.

(2) وضع الحلول.

إن المطالع لسيرة النبيّ صلى الله عليه وسلَّم يرى أنه يفكر عند وقوع الأزمة في المخارج، من حيث اقترح الحلول، لذا يطلب التداوي سواء بالعلاج الروحي أو الطبي، وقد بين النبي ﷺ طريقة التداوي، ففي حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِه فِي المَرَضِ الَّذِي مَاتَ فيه بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْه بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَد نَفْسِه لِبَرَكَتِهَا"، فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ: كَيْفَ يَنْفِثُ؟ قَالَ: "كَانَ يَنْفِثُ عَلَى يَدَيْه، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ"([26])، وقد اكتشف العلماء أن بعض الترددات الصوتية تؤثر على مناطق معينة من الدماغ، فتنشط الخلايا، وتجعلها أكثر قدرة على العمل بكفاءة، وترفع من قدرة نظام المناعة لدى المريض([27])، والقرآن الكريم له تاثيره على الأجساد، يعرف ذلك كل مجرب.

---

24) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الدواء العسل، (7/ 123) رقم(5684)، مسلم، كتاب السلام، بَابُ التَّدَاوِي بِسَقْيِ الْعَسَلِ، (4/ 1736) ح (2217) .

(25) حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في العصر الحديث، محمد المهدي محمود علي، (ص: 29).

(26) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات، (5/ 2165) رقم(5403).

(27) انظر الشفاء بالقرآن – تأثير الاستماع لصوت القرآن على القلب، عبد الدايم كحيل.
http://kaheel7.com/pdetails.php?id=761&ft=38

وعن جَابِرِ بْنِ عبدالله ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ – أَوْ: يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ – خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ "[28]، قال ابن القيم: العسل فيه منافع عظيمة، فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها، محلل للرطوبات أكلا وطلاء، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم.... وإن اكتحل به، جلا ظلمة البصر، وإن استن به، بيض الأسنان وصقلها، وحفظ صحتها، وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق،.. يذهب البلغم، ويغسل خمل المعدة، ويدفع الفضلات عنها، ويسخنها تسخينا معتدلا، ويفتح سددها، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أقل ضررا لسدد الكبد والطحال من كل حلو.[29].

فهذه العلاجات فيها شفاء، وهذا ما أمر محسوس ملموس، وكل من جرب أدرك ذلك.

(3) التخفيف من الأزمة.

لقد كانت الخطوة الأولى محاولة التخفيف من أثر الأزمة على المسلمين ، فمقصود الشرع مصلحة الناس، عن حفصة بنت سيرين قالت قال لي أنس بن مالك ﷺ يحيى بم مات ؟ قلت من الطاعون قال: قال رسول الله ﷺ: "الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"([30])، وعن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: "المَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالمَطْعُونُ شَهِيدٌ"([31])، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها أخبرته: أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبي الله :ﷺ "أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً

(28) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الدواء العسل، (7/ 123) رقم(5683)، ومسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، (4/ 1736) رقم(2205).

(29)الطب النبوي، ابن القيم، (ص: 27).

(30) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (5/ 2165) رقم(5400).

(31) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (5/ 2165) رقم(5401).

لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ"([32]).

وقد جمع النبي ﷺ للأمة – في نهيه عن الدخولِ إلى الأرض الموبوءة، ونهيه عن الخروج منها – كمالَ التحرُّز من الطاعون، فمنع دخول غير الموبوئين أرض الوباء، منعًا لإعانة الإنسان على نفسه بموافاة الطاعون في محل سلطانه، وإعانة للإنسان على نفسه، ومَنَع المتعرضين للوباء من الخروج، لحملهم على الثقة بقدر الله والصبر على قضائه، وطلبًا لثوابه في تحمّل ذلك ونيل شهادة الدنيا بالموت بسببه، ففي الأول تأديب وتعليم، وفي الثاني تفويض وتسليم، كما أن في الأخير حكمة طبية بالغة، حيث إنه لا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة، وهي مضرة جدًا، وهذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين، فظهر بذلك المعنى الطبي من الحديث النبوي، وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما)([33]).

وللإسلام أساليب أخر تربوية راقية في التصرفات والأفعال، ويصح أن تكون وسائل وقائية يقوم بها المرء حال الشرب والبصاق، وقبل تناول الطعام وبعده، ويحترم فيها ما يشترك فيه الناس من المياه والطرق والظل، ويتأكد العمل بها عند ظهور المعديات لما قد يترتب على التفريط فيها من ضرر ذاتي أو متعدٍّ.

فما أعظم الإسلام، وما أعظم ما جاء به من تعاليم للحفظ على صحة البشرية وإسعادها.

(4) محاولة تلاشي الأخطاء.

وذلك من خلال وضع التدابير الاحترازية من أجل صحة المجتمع وحماية البيئة، ونظراً لكون البراز أكبر مصدر لتلوثها الجرثومي فقد جاء حديث رسول الله ﷺ يأمر المسلمين بالالتزام بأهم إجراء وقائي لحفظ

(32) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم } / الكهف 9)، (3/ 1281) رقم(3287)، وفي كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (5/ 2165) رقم(5402).

(33) التحصين من كيد الشياطين، خالد الجريسي، (ص: 223).

صحة المجتمع المسلم ومنع سراية الأمراض فيه([34])، وعَنْ جَابِرٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : "أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ"([35])، ووعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ"([36]).

ومن المعلوم أن إهمال المحافظة على نظافة الأواني والمكان، فيه تعد على صحة الآخرين فإهمال النظافة العامة يتسبب في انتشار الذباب والبعوض والحشرات الناقلة للأمراض إذا وقعت على الطعام، وأيضاً التسبب في تلويث الماء يؤذي الآخرين استعمالاً وشرباً، وفي الحث على تغطية الآنية ليلاً حتى لا تأتي الحشرات التي تلوثها.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْوَبَاءَ رِجْزٌ أَهْلَكَ اللَّهُ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ، وَقَدْ بَقِيَ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ يَجِيءُ أَحْيَانًا، وَيَذْهَبُ أَحْيَانًا، فَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ، فَلَا تَأْتُوهَا"([37]). تلك بعض الأحاديث التي ورد فيها لفظ البلاء، والذي جاء بمعنى البلاء العام، الذي من شأنه أن يعكر صفو الحياة، وقد بينت هذه الأحاديث أهم التدابير الاحترازية للوقاية من الأمراض المعدية.

(34) روائع الطب الإسلامي، محمد نزار الدقر، (1/ 5).

(35) أخرجه مسلم، باب النهي عن البول في الماء الراكد، (1/ 162) رقم(581).

(36) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب الْمَوَاضِعِ الَّتِي نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْبَوْلِ فِيهَا، (1/ 11) رقم(26)، وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، (1/ 119) رقم(328)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (1/ 273) رقم(594)، وصححه الحاكم والذهبي.

(37) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (5/ 2163) رقم(5396)، ومسلم، كتاب الطب، باب الطاعون، (7/ 26) رقم(5825)، أحمد في المسند، (36/ 136) رقم(21806)، واللفظ لأحمد.

(5) بث الأمل وعدم اليأس.

وذلك من خلال نشر الأخبار التي تقوي العزيمة و تشحذ الهمم، من المعلوم أن الدول الآن تعكف على البحث عن علاج لإنقاذ البشرية، وقد أقرت الشريعة التداوي والبحث عن الدواء، وتناوله بعد وجوده، والدول الآن تبحث عن لقاح وعلاج لهذا الفيروس.

والمسلمون ينطلقون في البحث عن الدواء وهم يحدوهم الأمل فما من داء إلا وله ودواء، وقد دعت السنة النبوية إلى طلب الدواء، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ فَجَاءَ الأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَتَدَاوَى فَقَالَ " تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ "([38]).

(6) الإلزامية

من خلال طرح التعليمات والأوامر التي تهدف إلى إصلاح المجتمع، وتعمل على ضبط التصرفات، يظهر ذلك من خلال استحضار النصوص النبوية التي تلزم الناس بالالتزام عزل المرضى عن الأصحاء. وهو ما يعرف الآن بالعزل، والعالم الآن ينادي بعزل المرضى، إذ هو أقوى السبل لمنع انتشار الفيروسات، وهذا العزل يساعد على اكتشاف أي حالات محتملة، في مرحلة مبكرة بدون أعراض، وهذا ما طبقته السنة النبوية منذ أكثر من ألف عام، فعن أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ: "لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ"

(38) أخرجه أبو داود، كتاب الطب، باب فِي الرَّجُلِ يَتَدَاوَى، (4/ 1) رقم(3857)، والترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، (4/ 383) رقم(2038)، وقال حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء، إلا أنزل له شفاء، (2/ 1137) رقم(3436)، وأحمد في المسند، (30/ 394) رقم(18454).

([39])، وعن عمرو بن الشريد ، عن أبيه ﷺ، قال : "كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ "ارْجِعْ فَقَدْ بَايَعْتُكَ"([40]).

قال العلماء: "إنه لا يجوز أن يخالط الجذماء الناس وإنه يجب على ولي الأمر أن يجعلهم في مكان خاص وهو ما يعرف الآن عند الناس بالحجر الصحي لأن هذا المرض والعياذ بالله الجذام من أشد الأمراض عدوى يسري سير الهواء نسأل الله العافية قالوا يجب على ولي الأمر أن يجعل الجذماء المصابون بمرض الجذام في مكان خاص كي لا يختلطوا بالناس"([41]).

(7) الفاعلية.

وذلك من خلال الأمر بالتباعد الاجتماعي، والنظافة الشخصية، من خلال عدم الاختلاط بالمريض. كما يطلب من المريض أن ينعزل عن الناس، فكذلك ينبغي على من يعرفه أن لا يخالطه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ"([42])، وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "الْفَارُّ مِنَ الطَّاعُونِ، كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ، وَالصَّابِرُ فِيهِ، كَالصَّابِرِ فِي الزَّحْفِ"([43]).

والصحيح أن علة النهي عن القدوم عليه التحرز من العدوى. فإن السليم إذا دخل أرض وباء معد، لعرض نفسه للعدوى والإصابة، والنهي عن خروج من وقع الطاعون بأرض هو بها، عدم نقل العدوى من مكان الوباء إلى غيره، ومنع انتشاره، وهذا هو المعروف في عرف الطب في أرقى العصور بالعزل

---

(39) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا هامة، (5/ 2177) رقم(5437)، ومسلم، كتاب الطب، باب لا عدوى، (7/ 31) رقم(5846).

(40) أخرجه مسلم، كتاب الطب، باب اجتناب المجذوم، (7/ 37) رقم(5880).

(41) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، (6/ 39).

(42) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الجذام، (5/ 2158) رقم(5380).

(43) أخرجه أحمد في المسند، (22/ 365) رقم(14478)، والطبراني في المعجم الأوسط، (3/ 293) رقم (3193)، وقال الشيخ شعيب: جسن لغيره.

الصحي، أو الحجر الصحي، أي محاصرة المرض المعدي في أضيق حدوده، وهذا لا يتعارض مع الإيمان بالقضاء والقدر، ولا مع أن العدوى لا تؤثر بنفسها، بل بإرادة الله تعالى.

وقيل: إن حكمة النهي عن القدوم عليه أن لا يندم من قدم عليه فأصيب بتقدير الله تعالى، فيقول: لولا أني قدمت هذه الأرض لما أصابني، يا ليتني لم أقدم إليها، مع أنه ربما لو أقام في الموضع الذي كان فيه لأصابه، فأمر أن لا يقدم عليه حسماً لهذا الندم، لا للوقاية الفعلية، ونهي من وقع وهو بها أن يخرج من الأرض التي نزل بها الطاعون، لئلا يقول إذا خرج ونجا: لو أقمت بها لأصابني ما أصاب أهلها، مع أنه لو أقام بها ربما لم يصبه المرض، فالمنع من الخروج لئلا ينجرف إلى اعتماد الأسباب العادية، وينسى أو يقلل من تقدير الله، ويؤيد هذا التعليل ما أخرجه الهيثم بن كليب والطحاوي والبيهقي بسند حسن، عن أبي موسى أنه قال: "إن هذا الطاعون قد وقع، فمن أراد أن يتتره عنه فليفعل، واحذروا اثنتين: أن يقول قائل: خرج خارج فسلم، وجلس جالس فأصيب، فلو كنت خرجت لسلمت، كما سلم فلان، أو لو كنت جلست لأصبت، كما أصيب فلان".

والنهي عن القدوم على الطاعون في بلده مطلق، سواء كان له بهذه البلد حاجة، أو لم يكن، لذا سنجد عمر رضي الله عنه يمتنع عن الدخول، مع أن له به حاجة، أما النهي عن الخروج فقيد بأن يكون السبب والدافع للخروج الفرار من الوباء، فإن كانت هناك حاجة إلى الخروج غير الفرار فلا يدخل في النهي، فالصور ثلاث: الخروج قصد الفرار محضاً، فهذا يتناوله النهي لا محالة، والخروج للحاجة محضاً لا يشوبها قصد فرار، والخروج للحاجة والفرار"([44]).

قد بين النبي ﷺ في عدد من الأحاديث مبادئ الحجر الصحي بأوضح بيان، فمنع الناس من الدخول إلى البلدة المصابة بالطاعون، ومنع كذلك أهل تلك البلدة من الخروج منها، بل جعل ذلك كالفرار من الزحف الذي هو من كبائر الذنوب، وجعل للصابر فيها أجر الشهيد. عندما تحدث جائحة أو وباء تضطر معه السلطات الصحية أن تحجر على جماعة من الناس خشية سراية مرض كالطاعون ونحوه، ومعلوم أن نسبة من المحجورين هم أناس أصحاء، وأنهم بهذا الحجر عرضة للإصابة بالمرض الساري

(44) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى لاشين، (8/ 600).

من أولئك المرضى المحجورين معهم، وقد يقضي هؤلاء إذا سرى المرض إليهم جراء الحجر الصحي، ورغم تعريض هؤلاء الأبرياء لخطر السراية فإن جميع المدارس الصحية العالمية تجمع على صحة هذا المسلك أعني الحجر تقديماً للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ولكن هنا يبرز النظام الصحي الإسلامي متميزاً عن كل المدارس الصحية في العالم ليعامل هؤلاء الأبرياء بما يستحقون، حيث يقدم لهم التعويض عن هذه التضحية من خلال هذه المنظومة الشرعية الرائعة.... وهكذا فبالنظر إلى عناصر هذه المنظومة الشرعية الرائعة تجد أن مصلحة الجماعة قد روعيت باحتواء المرض، وأن مصلحة الأفراد قد روعيت من ناحية ثبات العقيدة ونقائها، ومن ناحية تعويض ضحايا تقديم المصلحة الجماعية بمرتبة الشهادة من جهة أخرى ، وهذا ما لا يمكن لأي منظومة رعاية صحية في العالم أن تقدمه، وإنه لمن السفه بعد هذا ألا نعيد الأمور إلى نصابها ونعيد – بدون مبالغة – كتابة وتأصيل مهنة وعلوم الطب لتتعانق نصوص الآيات والأحاديث الشرعية مع موجودات ومفردات الآيات الكونية فيحدث ذلك الانسجام بين العقيدة والكون، تماماً كما أوجد الله تعالى ذلك الانسجام التام بين الروح والبدن، وهذا ما أعنيه بأسلمة الطب، وهو يتجاوز بكثير مسألة تزيين مداخل المشافي([45]). إن الخطاب النبوي يعمل على تهذيب الناس، لينهي حالة التوتر والقلق الناتجة عن تفشي الوباء.

المبحث الثالث:

ملامح الخطاب الديني

هناك عدة ملامح تميز بها لخطاب النبوي، عن غيره من الخطابات التي جاءت عبر التاريخ، من أبرزها أو أهمها ما يلي:

(1) الاتجاه الإيماني:

(45) حلية الطبيب المسلم، وسيم فتح الله، (ص: 76).

لقد ظهر هذا الاتجاه في خطابات القيادات الدينية المختلفة، فعن حفصة بنت سيرين قالت قال لي أنس بن مالك ﷺ يحيى بم مات ؟ قلت من الطاعون قال: قال رسول الله ﷺ: "الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"(46)، ولا يستغني المسلم في أي وقت عن ذكر الله، لا سيما في وقت الاضطرار، وقد شرعت الرقى والأدعية التي تكون سبباً في تخفيف الأم، وقد مر طرف منها.

(2) دعم السياسات الصحية.

الخطاب النبوي أحد الطرق لمجابهة تفشي الوباء، وذكر بعض الأدوية النافعة، فقد ذكر النبي ﷺ فضل هذه الحبة كما في حديث عَائِشَةَ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ هَذِهِ الحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا مِنَ السَّامِ"قُلْتُ: وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: المَوْتُ"(47).

قال ابن القيم عن فوائد الحبة السوداء: "إن دق وعجن بالعسل، وشرب بالماء الحار، أذاب الحصاة التي تكون في الكليتين والمثانة، ويدر البول والحيض واللبن إذا أديم شربه أياما... وإن عجن بماء الحنظل الرطب أو المطبوخ: كان فعله في إخراج الدود أقوى. ويجلو ويقطع ويحلل، ويشفي من الزكام البارد: إذا دق وصر في خرقة واشتم دائما، أذهبه، وإذا طبخ بخل، وتمضمض به، نفع من وجع الأسنان عن برد. ..... ومنافعه أضعاف ما ذكرنا"(48)، وقد حاول بعضهم وضع هذه الحبة في كثير من التراكيب الطبية للتداوي بها"(49).

وقد جرب العلماء الجبة السوداء فوجدا فيها ما يقوي الجهاز المناعي في الإنسان، والجهاز المناعي متعلق بكل الأمراض، ولا سيما الجرثومية والسرطانية؛ فكلما قوي الجهاز المناعي قويت قدرة الإنسان على

---

(46) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (5/ 2165) رقم(5400).

(47) أخرجه: البخاري في كتاب الطب باب الحبة السوداء (7/ 124) رقم(5687)، وأخرجه عن أبي هريرة ﷺ البخاري كتاب الطب باب الحبة السوداء (7/ 124) رقم(5688)، ومسلم في كتاب السلام باب التداوي بالحبة السوداء (4/ 1735) رقم(2215).

(48) الطب النبوي، ابن القيم، (ص 230 -231).

(49) الحبة السوداء في الحديث النبوي والطب الحديث، باموسى، (ص: 16).

مكافحة الأمراض التي أساسها جرثومي، والأمراض التي أساسها مناعي..... لقد استعمل أناس كثيرون هذه الحبة السوداء، ووجدوا نتائج طيبة جدا، فهناك أمراض تزيد على خمسين مرضا تساهم الحبة السوداء في شفائها، منها الأمراض الجلدية، والأمراض المعوية، والأمراض العصبية، وأمراض الأوعية، والقلب، والشرايين، فإن لم تكن الحبة السوداء دواء فهي وقاية([50]).

(3) الاتجاه القيمي والأخلاقي:

وذلك من خلال عزل المريض، والرضا بقدر الله فيه، وعدم إيذاء الآخرين، ومن ذلك الأمر بتغطية الوجه عند العطس، وعدم البزاق في الأماكن العامة، وعدم التنفس في الماء عند الشرب، وجاء النهي عن الشرب من فم القربة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِثَوْبِهِ وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ"([51])، وهذا نوع من الأدب بين يدي الجلساء، وذلك لأن العاطس لا يأمن عند العطاس مما يكرهه الراءون من فضلات الدماغ([52])، فهذا من باب الأدب من ناحية، ومن ناحية أخرى فيه حماية للسليم من المريض.

إن مما تم الإجماع عليه أن الانتقال المباشر لفيروسات ومنها فيروس كورونا يكون من خلال الرذاذ المتطاير من المريض أثناء السعال أو العطس؛ لذا جاء في الخطاب النبوي.

وكذا من أجل صحة المجتمع وحماية البيئة، منع من التخلي في طرقات الناي، نظراً لكون البراز أكبر مصدر لتلوثها الجرثومي فقد جاء حديث رسول الله ﷺ يأمر المسلمين بالالتزام بأهم إجراء وقائي لحفظ صحة المجتمع المسلم ومنع سراية الأمراض فيه([53])، فعَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ

(50) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، (2/ 127) .

(51) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس، (5/ 86) رقم(2745)، وقال: "حسن صحيح".

(52) الميسر في شرح مصابيح السنة، التوربشتي، (3/ 1037).

(53) روائع الطب الإسلامي، محمد نزار الدقر، (1/ 5).

الرَّاكِدِ"([54])، وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ"([55]). ومن المعلوم أن إهمال المحافظة على نظافة الأواني والمكان، فيه تعد على صحة الآخرين فإهمال النظافة العامة يتسبب في انتشار الذباب والبعوض والحشرات الناقلة للأمراض إذا وقعت على الطعام، وأيضاً التسبب في تلويث الماء يؤذي الآخرين استعمالاً وشرباً، وفي الحث على تغطية الآنية ليلاً حتى لا تأتي الحشرات التي تلوثها.

المبحث الرابع:

أثر الخطاب النبوي على المسلمين المعاصرين زمن الأوبئة.

تم تطبيق هذا المنهج النبوي هذه الأيام إذ هو من باب التعاون على البر والتقوى، وقد تم تطبيقه على هذا النحو:

(**1**) **الالتزام الكامل بحظر التجول**. طبقت معظم دول العالم قانون حظر التجول الكلي على بعض المدن، والجزئي على بعضها، حتى يتم الحد من انتشار المرض، بل إن كثيراً منها طبق غرامات مالية حتى يتم السيطرة على من تسول له نفسه بالتنقل مما يضر بنفسه أو بغيره.

وذلك "لتضييق دائرة المرض المعدي، والذي قد ينتقل بالمخالطة إلى الأصحاء فيمرضهم بمشيئة الله وإرادته، فلا يجوز لمن أصيب بمرض وبائي كأنفلونزا الخنازير مخالطة الأصحاء، ولا غشيان أماكن تجمعاتهم، خاصة أماكن العبادة التي يجتمع فيها الناس، لما قد يلحقه بهم من ضرر"([56]).

---

(54) أخرجه مسلم، باب النهي عن البول في الماء الراكد، (1/ 162) رقم(581).

(55) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب الْمَوَاضِعِ الَّتِى نَهَى النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- عَنِ الْبَوْلِ فِيهَا، (1/ 11) رقم(26)، وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، (1/ 119) رقم(328)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (1/ 273) رقم(594)، وصححه الحاكم والذهبي.

(56) مقالات موقع الدرر السنية (2/ 345، بترقيم الشاملة).

وهذا إجراء احترزي فمنع الناس من التنقل للمحافظة على جميع الناس، إذ المحافظة على النفس والغير حتى لا يضر المرء نفسه أو غيره، ويقرب هذا المعنى حديث النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَثَلُ الْوَاقِعِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْمُدَاهِنِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضَهُمْ سُفْلُهَا وَأَصَابَ بَعْضَهُمْ عُلْوُهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي السُّفْلِ يَسْتَقُونَ مِنَ الْعُلْوِ فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ فَيُؤْذُونَهُمْ فَقَالَ الَّذِينَ فِي الْعُلْوِ قَدْ آذَيْتُمُونَا تَصُبُّونَ عَلَيْنَا الْمَاءَ قَالَ فَأَخَذُوا فَأْسًا يَعْنِي الَّذِينَ فِي السُّفْلِ فَجَعَلُوا يَحْفِرُونَ فِي السَّفِينَةِ فَقَالَ لَهُمُ الَّذِينَ فِي الْعُلْوِ مَا تَصْنَعُونَ فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا يُرِيدُونَ هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا جَمِيعًا ".([57]).

لذا يمنع المرضى من مخالطة الأصحاء، وهذا فيما إذا كانت مخالطتهم توجب انتقال العاهات الخطيرة المستعصية وذلك كالإيدز والطاعون والجذام ونحوها، والحجر الصحي مع قيام مقتضاه جائز في الشريعة، بل قد يكون من باب الوجوب محافظة على صحة الآخرين، ولو كان في الحجر الصحي مضرة ومفسدة خاصة إلا أننا نرتكبها لأننا ندفع به ضرراً عاماً ومفسدة عامة، وإذا تعارض ضرران روعي أشدهما بارتكاب أخفهما، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والضرر العام مقدم على الضرر الخاص([58]).

(2) **الالتزام بحظر السفر**. تم حظر السفر بين كثير من الدول لا سيما التي انتشر فيها الوباء، وذلك حتى يتم السيطرة على من بالدخل، وعدم تصدير المرض إلى بلدان أخرى.

يستهدف الحجر الصحي منع دخول الآفات الحشرية إلى بلد ما. فالآفات الحشرية غالبًا تأتي بالمصادفة على السفن أو الطائرات أو وسائل النقل الأخرى، ففي عديد من البلاد يفحص المفتشون الحكوميّون الأمتعة والبضائع بحثًا عن الآفات الحشريّة؛ وذلك عند الحدود، وأماكن الدخول الرئيسيّة للبلاد، لأن الآفات الحشرية عندما تُستورد إلى بيئة جديدة تكون من أصعب الآفات مقاومة؛ لأنها في البيئة الجديدة ليس لها أعداء طبيعيّون يحدّون من أعدادها ولذا تتكاثر أعدادها بسرعة وبكميات هائلة([59]).

(57) أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (2/ 882) رقم(2361).

(58) الإفادة الشرعية في بعض المسائل الطبية، وليد السعيدان، (ص: 256).

(59) الموسوعة العربية العالمية (/ 11).

وحظر السفر هذا عين ما جاء في الحديث (لا تدخلوا) بمعنى عدم السفر إلى البلد، و(لا تخرجوا) منع السفر من البلد.

(3) **إغلاق المجمعات التجارية وأماكن الترفيه وقاعات المناسبات**. إن الدول عمدت إلى إغلاق ما يمكن أن يتسبب في انتشار المرض، ومن المعلوم أن حفظ البدن مطلب من مطالب الشريعة.

وفي إغلاق هذه الأماكن التي يكثر فيها التجمع حفاظ على أرواح الناس بحيث لا يهلكون ولا يهلكون غيرهم، فلا بد من الأخذ على أيدي الجميع وحمايتهم حتى من أنفسهم ليتمكن العالم من السيطرة على المرض، ثم يكون رفعه بإذن الله ومشيئته.

(4) **عزل القادمين من بلاد خارجية**. تم تحديد أماكن لعزل القادمين من خارج البلاد، حتى يتم التأكد من خلوهم من الأمراض فإن كانوا أصحاء سالمين سمح لهم بالدخول، وإلا فيتم أخذ العلاج حتى يأذن الله بأحد الحسنيين إما الشفاء وإما الشهادة.

وهذا من باب التأكد من سلامة القادم، ذلك أن القادم قيد يكون حاملاً للمرض من البلاد التي جاء منها وهو لا يدري، لذا جاء الأمر النبوي كما في حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ"([60]).

لذا سئل الدكتور (جون لارسن) من قِبل هيئة الإعجاز العلمي: إذا كنتَ حاكماً على مدينة، وأُصيبت تلك المدينة بمرض وبائي خطير؛ أو ما يُسمى بالطاعون؛ فماذا تفعل يا دكتور؟

قال: سآتي بالجنود، وأضرب حصاراً على المدينة؛ لمنع الدخول إليها، والخروج منها.

قيل له: أمّا أن تمنع الدخول فقد علمناه، ولكن لماذا تمنع الخروج منها؟

(60) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، (5/ 2164) رقم(5398)، ومسلم، كتاب الطب، باب الطاعون، (7/ 30) رقم(5840).

قال: لأن الدراسات في الفترة المتأخرة كشفت لنا أنه عندما يكون الطاعون منتشراً في مدينة من المدن، أو منطقة من المناطق؛ فإن عدد الذين تظهر عليهم أعراض المرض تتراوح نسبتهم (ما بين 10 - 30 %)

قيل له: والباقون من سكان المدينة ما بالهم؟

قال: هؤلاء الباقون يحملون الجرثومة في أجسادهم، لكن جهاز المناعة عندهم يتغلب على الجراثيم، فتبقى في الجسم، ولكنها لا تضره، فإذا بقي هذا الصحيح في البلدة التي فيها الطاعون فلا خوف عليه، لأنه ملقَّحٌ، ولأن عنده مقاومة من جهاز المناعة تدفع عنه المرض.

أما لو خرج من هذه المدينة – أو البلدة – فإنه يخرج حاملاً لهذه الجرثومة، فينقل ذلك المرض إلى مدينة جديدة، وقد ينشأ عن ذلك هلاك الملايين من البشر، بسبب خروج هذا المصاب ...

قيل: إلى متى يستمر هذا الحصار المضروب على هذه المدينة؟

قال: إلى وقت يسير، حتى يتغير سلوك الجرثومة، بإضافة خصيصة وراثية جديدة، حتى تذهب فيها خصيصة العدوى التي تنتشر، وتنقل المرض إلى الآخرين. اهـ([61]).

(**5**) **تعليق صلاة الجمعة والجماعة في المساجد.** من المقرر شرعاً أن الدين جاء ليحفظ على الضرورات الخمس، ومن أجلها حماية الأرواح، لذا فقد تم تعليق الجمع والجماعات للمحافظة على أرواح الناس، وهذا القرار وإن وجد غصة لدى البعض إلا أن المفتي ينظر عند الفتوى في عدة أمور فيوازن بين المصالح والمفاسد، بل ويوازن بين المصالح والمصالح فيقدم المصلحة الأنفع والأجدى، فيميز بين أي الخيرين أنفع، وأي الشرين أضر، ثم يصدر الفتوى على وفق الشرع لا على وفق الهوى، ومن هذا باب خرجت الفتاوى التي تراعي هذه المصالح.

(61) السنة النبوية وحي، خليل خاطر، (ص: 70).

وذلك من باب المحافظة على الناس، فمصلحة حفظ الناس هنا مقدمة على إقامة الصلاة كما هو مقرر في حديث أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "دَعُوهُ وَلَا تُزْرِمُوهُ" قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ"([62]).

ففي الحديث مفسدتان ومصلحتان : فالمفسدة الأولى : مفسدة تلويث المسجد بهذا الأذى والقذر . والثانية : مفسدة تنفيره عن الإسلام وإيغار صدره على من اعتدى عليه وتلويث مواضع من المسجد ، ولاشك أن المفسدة الثانية أشد من المفسدة الأولى فروعيت المفسدة الكبرى بارتكاب الصغرى ، فقال : (دعوه) أي لا بأس أن يرتكب هذه المفسدة ، ولا تضربوه حتى لا يقع في المفسدة الكبرى . وأما المصلحتان : فالأولى : مصلحة صيانة المساجد من البول والأذى ، وهي الصغرى ، ومصلحة تأليفه على الإسلام ، بل ومصلحة المحافظة على نفسه من تأذيه باحتباس البول ، بل ومصلحة عدم انتشار البول في أكثر من بقعة في المسجد بسبب هروبه منهم ، فهذه المصالح روعيت جميعها بتفويت المصلحة الصغرى التي هي صيانة المسجد من الأذى والقذر في هذه البقعة فقط ؛ لأنه إذا تعارضت مصلحتان روعي أكبرهما بتفويت أصغرهما . والله أعلم([63]).

لم ينكر النبي ﷺ على الصحابة و لم يقل لهم لم نهيتم الأعرابي بل أمرهم بالكف عنه للمصلحة الراجحة وهو دفع أعظم المفسدتين باحتمال ايسرهما وتحصيل أعظم المصلحتين بترك ايسرهما(64).

ولقد نجح الفيروس في إثبات عظمة هذا الدين، وبيان ضرورة العمل بتعاليمه، وقد طبق المسلمون الأوائل هذه التعاليم، وطبق أسلافهم هذه التعاليم، ونسأل الله أن يرفع الوباء ويزول البلاء.

---

(62) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، (5/ 2242) رقم(5679)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب صب الماء على البول في المسجد، (1/ 163) رقم(585).

(63) تلقيح الافهام العلية بشرح القواعد الفقهية، وليد بن راشد السعيدان، (15/3).

(64) فتح الباري، ابن حجر، (324/1).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أما بعد.

فبعد هذه الجولة مع الاستراتيجيات النبوية والتي أسأل الله أن تكون لبنة في بناء تنتفع به البشرية، وقد ظهرت بعض النتائج والتوصيات أذكرها على النحو التالي:

أولاً: النتائج :

(1) أن طبيعة الخطاب النبوي زمن الأوبئة التي امتاز بها عن غيره، يمكن إجمالها في الآتي: رفع معنويات المرضى، ومراعاة مصالح الناس، والشمولية، والوقائية، والشرعية، والخبرة والعلم، والإقناع والتأثير.

(2) أن خصائص الخطاب النبوي زمن الأوبئة، تجلت في: التريث وعدم التعجل، ووضع الحلول، والتخفيف من الأزمة، ومحاولة تلاشي الأخطاء، وبث الأمل وعدم اليأس، والإلزامية، والفاعلية.

(3) أن أهم ما يميز ملامح الخطاب الديني الاتجاه الإيماني، ودعم السياسات الصحية، والاتجاه القيمي والأخلاقي.

(4) أن أثر الخطاب النبوي على المسلمين المعاصرين زمن الأوبئة جاء من خلال التطبيق العملي على هذا النحو : الالتزام الكامل بحظر التجول، والالتزام بحظر السفر، وإغلاق المجمعات التجارية وأماكن الترفيه وقاعات المناسبات، وعزل القادمين من بلاد خارجية، وتعليق صلاة الجمعة والجماعة في المساجد.

(5) أن السنة النبوية أولت عناية بالخطاب النبوي لا سيما الجانب الصحي.

(6) أن الخطاب النبوي ركز على جانب الوقاية أكثر من العلاج.

(7) أن الخطاب النبوي له أكبر الأثر في الوقاية من الأمراض الواقعية والشمولية واليسر.

(8) أن الخطاب النبوي أفاد منه المشرعون في الواقع المعاصر.

ثانياً: التوصيات:

(1) الاهتمام بجميع جوانب الطب النبوي، وربطها بالواقع.

(2) تخصيص موقع ينشر فيه الإعجاز الطبي في السنة النبوية، والذي أظن أنه سيكون سبباً في دخول كثيرين في الإسلام.

هذا والله أعلى وأعلم وأجل وأكرم، وصل اللهم على نبينا محمد

أهم المراجع.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)، عرب: حسن هاني فحص، ط: دار الكتب العلمية لبنان بيروت، الأولى، 1421هـ - 2000م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، ط: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الثالثة، 1407 – 1987م.

الحبة السوداء في الحديث النبوي والطب الحديث، عبد الله بن عمر با موسى، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الأولى، 1425هـ.

حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في العصر الحديث، محمد المهدي محمود علي، ط: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة الخامسة، العدد الأول، رجب 1392هـ/ أغسطس 1972م.

زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م.

السنة النبوية وحي، خليل بن إبراهيم ملا خاطر، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي .

سنن أبي داود، : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر : دار الكتاب العربي ـــ بيروت .

سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى، 1407هـ.

السنن الصغير، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـــ باكستان، الأولى، 1410هـ - 1989م.

السنن الكبرى، : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، : الأولى ـــ 1344 هـ.

سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المحقق : مكتب تحقيق التراث، الناشر : دار المعرفة ببيروت، الخامسة 1420هـ.

شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، ط: دار الوطن للنشر، الرياض، 1426 هـ.

الطب النبوي، : ابن القيم، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق، الناشر : دار الفكر، بيروت.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الثانية، 1415 هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، ط: دار الشروق، الأولى (لدار الشروق)، 1423 هـ - 2002 م.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، ط: المكتبة التجارية الكبرى مصر.

المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، 1411هـ - 1990م.

مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: 204هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر – مصر، الأولى، 1419 هـ - 1999 م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى، 1421 هـ - 2001م.

مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

*المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله*ﷺ :أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى : 261 هـ، المحقق : مجموعة من المحققين، الناشر : دار الجيل – بيروت، : مصورة من التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334 هـ.

مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: 840هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، ط: دار العربية – بيروت، الثانية، 1403 هـ.

معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)، ط: المطبعة العلمية حلب، الأولى 1351 هـ- 1932 م.

المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، الشِّيرازيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: 727 هـ)، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الأولى، 1433 هـ - 2012 م .

المقدمة في فقه العصر، د. فضل بن عبد الله مراد، ط: الجيل الجديد ناشرون – صنعاء، الثانية، 1437 هـ - 2016 م.

منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، ط: مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1410 هـ - 1990 م.

المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ)، ط: مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، الأولى، 1332 هـ.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثانية، 1392هـ.

موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، ط: دار المكتبي - سورية - دمشق الحلبوني جادة ابن سينا، الثانية 1426 هـ - 2005 م.

الميسر في شرح مصابيح السنة، فضل الله بن حسن بن حسين شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (المتوفى: 661 هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، ط: نزار مصطفى الباز، الثانية، 1429 هـ.

نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط: دار الحديث، مصر، الأولى، 1413هـ - 1993م.

الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى، 1405هـ – 1985م